

أضواء البيان

. @ 162 @

وقوله في هذه الآية : { نُفُورًا } جمع نافر . فهو حال . أي ولوا على أديبارهم في حال كونهم نافرين من ذكر الله وحده من دون إشراك . والفاعل يجمع على فعول كساجد وسجود ، وراكع وركوع . .

وقال بعض العلماء : (نفورًا) مصدر ، وعليه فهو ما ناب عن المطلق من قوله { وَلَوْ أَذْهَبَ } لأن التولية عن ذكره وحده بمعنى النفور منه . قوله تعالى : { قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مَنَّ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا } أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا } . بين جل وعلا في هذه الآية الكريمة : أن المعبودين من دون الله الذين زعم الكفار أنهم يقربونهم إلى الله زلفى ، ويشفعون لهم عنده لا يملكون كشف الضر عن عابديهم . أي إزالة المكروه عنهم ، ولا تحويلًا أي تحويله من إنسان إلى آخر ، أو تحويل المرض إلى الصحة ، والفقر إلى الغنى ، والقحط إلى الجذب ونحو ذلك . ثم بين فيها أيضاً أن المعبودين الذين عبدتهم الكفار من دون الله يتقربون إلى الله بطاعته ، ويبتغون الوسيلة إليه ، أي الطريق إلى رضاه ونيل ما عنده من الثواب بطاعته فكان الواجب عليكم أن تكونوا مثلهم . .

قال ابن مسعود : نزلت هذه الآية في قوم من العرب من خزاعة أو غيرهم ، كانوا يعبدون رجالاً من الجن ، فأسلم الجنون وبقي الكفار يعبدونهم فأنزل الله { أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ } وعن ابن عباس : أن هذه الآية نزلت في الذين كانوا يعبدون عزيزاً والمسيح وأمه . وعنه أيضاً ، وعن ابن مسعود ، وابن زيد ، والحسن : أنها نزلت في عبدة الملائكة . وعن ابن عباس : أنها نزلت في عبدة الشمس والقمر والكواكب وعزير والمسيح وأمه . .

وهذا المعنى الذي بينه جل وعلا في هذه الآية الكريمة : من أن كل معبود من دون الله لا ينفع عابده ، وأن كل معبود من دونه مفتقر إليه ومحتاج له جل وعلا بينه أيضاً في مواضع أخر ، كقوله (في سبأ) { قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مَنَّ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مَشْقًا وَلَا ذَرَّةً فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمْ مِّنْ شَرِكٍ } وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِّنْ ظَهِيرٍ وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ

عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ { ، وقوله (في الزمر) : { أَفَرَأَيْتُمْ مَّا
تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ
ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِيَ بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ